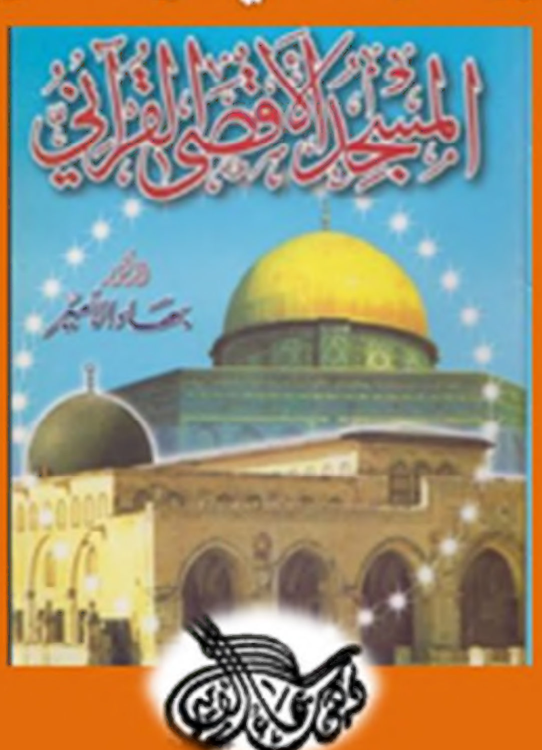
دكتور بهاء الأمير

الأرض والمقدسات

بين التفسير الإسلامي والتفسير اليهودي



٢٠٢٠م

ضميمة لا بد منها

الأرض والمقدسات بين التفسير الإسلامى والتفسير اليهودى

ربما يجد قارئ هذه الرسالة أو الكتاب الصغير تساؤلاً يثور فى نفسه وهو يوغل فى القراءة: إذا كان الدليل على أن البقعة المقدسة مقدسة هو معرفة اليهود بها وتقديسهم لها والرابطة الوثيقة بينهم وبينها، أفلا يكون هذا دليلاً فى الوقت نفسه على أن هذه البقعة المقدسة هى فعلاً أرض اليهود وحقهم؟.

كيف لا ومن يطالبهم بها ويخاصمهم فيها إنما يستدل بهم عليها؟!

وقد يحول التساؤل فى العقل شكًا وفى النفس قلقًا، إذا كانت هذه البقعة التى يسميها المسلمون المسجد الأقصى ويسميها اليهود جبل الهيكل هى من شراء داوود وبناؤها من فعل ابنه سليمان، أفلا يكون اليهود هم أصحابها حقًا لا ادعاءً؟

وهل اليهود إلا أنسال داوود وسليمان؟!

وإذا كان اليهود هم أصحاب هذا المكان بالشراء «فقال داوود لأرنان أعطنى مكان البيدر فأبنى فيه مذبحًا للرب فقال الملك داوود لأرنان لا بل شراءً أشتريه بفضة كاملة لأنى لا آخذ مالك ... ودفع داوود لأرنان عن المكان ذهبًا وزنه ست مئة شاقل وبنى داوود هناك

مذبحًا للرب»[1]، وهو مقدسهم الذى لا أقدس منه عندهم قبل أن يستحوذ عليه العرب بمئات السنين، فما بال هؤلاء العرب ينازعون فى المكان المقدس أهله؟!

وإذا كان ذلك كذلك واليهود على حق وهم إنما يقاتلون ويقتلون من أجل بقعة هى ملكهم فما هذا الذى يدعيه العرب والفلسطينيون من أن اليهود لا حق لهم فى هذه البقعة المقدسة؟ وما فائدة هذا السيل المتحدر من الكتابات التى لحمتها وسداها إنكار أى رابطة بين اليهود وبين هذه البقعة اتكاء على عدم وجود أثر للهيكل الذى «يزعمون» وجوده؟

ويسكب الكاتب على الشرارة فى نفس وعقل قارئه زيتًا وكبريتًا فيقول له: هب أن العرب واليهود جلسوا للفصل فى من هو أحق وأولى بحيازة المكان المقدس فلم يخرج اليهود التوراة دليلاً على ملكيته بالشراء ولم يأتوا بآثار وأحافير تنطق بسبق ملكية اليهود له ومن ثَمَّ حقهم فيه وهو ما نزع منهم إلا غصبًا، هب أن اليهود تركوا ذلك كله وأخرجوا للعرب على مائدة التفاوض وطاولات المنظمات الدولية سنن النسائى وسنن ابن ماجه ومسند الإمام أحمد وفيها أن النبى ﷺ قال: «لما فرغ سليمان بن داوود من بناء بيت المقدس»، لو فعلها اليهود ماذا سيكون رد من جعلوا عمود حقهم فى المكان المقدس هو دحض حيازة اليهود له؟

---

(١) أخبار الأيام الأول ٢١: ٢٢ ـ ٢٧.

أسيكذبون النبى ﷺ أم سينكرون السنة؟ وما ذلك من بعضهم ببعيد! بيد أنه غير مجد قبالة يهود.

لو كان فى اليهود ذكى أريب لما أخرج وثيقة ولا مستندًا يبارز به العرب أجمعين غير كتب السنة المشرفة: نبى العرب يقر أن اليهود وبطلهم داوود هو الذى اشترى الهضبة المقدسة وأن ابنه سليمان ملك اليهود هو الذى بناها، وسيد الدليل ما جاء من الخصوم.

لو فعلها اليهود فى محفل مفاوضات لامتلكوا البقعة المقدسة بالضربة القاضية دون توراة ولا حفريات ولا آثار ولا قتال؟

أتعرف لماذا سيكسب اليهود بالضربة القاضية؟

لأن من يواجهونهم ويدحضون حججهم هم أيضًا يهود ولكن أكثرهم لا يعلمون! وما يغلب فرع أصله أبدًا.

ما هذه الألغاز والأحاجى؟ وهل العرب يهود؟ وكيف يكون العرب يهودًا؟ أيسعون فى بناء الهيكل أم ينتظرون البقرة الحمراء؟!

لا هذا ولا ذاك!

وتوقيًا للألغاز والأحاجى نبدأ من البداية.

يوجد تفسيران لا ثالث لهما للعلاقة بين الإله والبشر.

التفسير الأول: هو أن الإله قدس قومًا أو شعبًا أو قبيلة (أو قدسته هى) تقديسًا أبديًا غير مشروط، لا يتوقف على إيمانهم به أو كفرهم، طاعتهم له أو معصيتهم.

ولأن رابطة الإيمان والطاعة فى هذا التفسير ليست هى المحك

ولا الفيصل والميزان فى الحكم على الشعب و القبيلة أو القوم، تختلق القبيلة أو القوم أو الشعب الذى لا يمكنه الاستغناء عن وجود إله بضرورة الفطرة رابطة تحل محلها، رابطة «آمنة» لا تفصمها المعصية ولا المروق على الإله.

وهذه الرابطة التى لا تتوقف على إيمان ولا طاعة ويمكن للقوم والقبيلة فعل ما يشتهون فى ظلها هى رابطة الدم بالإله والعلاقة العضوية النسبية بينه وبين قومه.

وهى الرابطة والعلاقة التى يصير بها الإله إله هذا الشعب أو القوم فقط، فهو لا ينظر إلا لهم ولا يرضى عن غيرهم ولا يسمح لأحد بعبادته سواهم.

فالإله فى هذا التفسير أو النموذج العقائدى هو رأس قومه أو شيخ قبيلته ليس لها أن تتخطاه كما أنه هو نفسه محصور بقومه، وقبيلته هى حدوده التى ليس فى مقدوره عبورها.

هذا التفسير يعترف ضمنا بوجود آلهة أخرى، فكما للقبيلة أو الشعب إلهه، فلكل شعب وقبيلة إلهها وإن اعتز كلٌ بإلهه واعتبره أقوى الآلهة.

وكل نزاع فى هذا التفسير بين الشعب أو القبيلة وغيرها من الشعوب أو القبائل هو فى حقيقته صراع بين الآلهة، وما صراع القبائل والأقوام إلا مظهر هذا الصراع بين الآلهة، فكل إله ينتصر بقومه: نصره نصرهم وخذلانهم خذلانه.

أما التفسير الثانى لعلاقة الإله بالناس فهو أن الله عز وجل هو رب الناس جميعًا، خلقهم جميعا ورزقهم جميعا ولا يصطفى أحدًا على أحد بنسب ولا يفضل قومًا على قوم ولا إنسانا على إنسان إلا بالإيمان به وطاعته، فمن آمن به عز وجل وبأسمائه وصفاته التى وصف بها هو جل وعلا نفسه، ومن أطاعه فما يريد عز وجل كان وليه ومحل نصره. ومن كفر به أو سماه أو وصفه عز وجل بغير ما وصف به نفسه أو عصاه وجحد أمره سبحانه أبعده عن رحمته وخذله.

ويستوى عنده فى ذلك الفرد والقوم والبشرية كلها، الغنى والفقير، الأبيض والأسود، القوى والضعيف، الشريف عند الناس والوضيع.

وعلى هذا التفسير/الحقيقة فالله عز وجل لا ينتصر لقوم لأنهم قومه ولا لقبيلة لأنها قبيلته ونصرها نصر له، فهو عز وجل مستغن بنفسه عن الأنصار والشيع، وإنما هو سبحانه ينتصر لقوم لأنهم أهل الإيمان به وطاعته ويخذل آخرين لأنهم أهل الكفر به ومعصيته.

وإن تبدلت المواقع تبدل المنصور والمخذول وما تبدل ميزان النصر والهزيمة ولا تغير، فينصر اليوم بالإيمان من كان خذله بكفره بالأمس، ويخذل بالمعصية اليوم من كان نصره بالطاعة سابقًا.

تتغير الشعوب والقبائل والأقوام رحمة وقربا أو لعنة وطردا، ولا يبقى إلا رابطة الإيمان والطاعة هى ما يربط الإله بخلقه.

وعلى هذا التفسير الحقيقة فالإله مطلق المشيئة فى خلقه لا تقيده

مرابض القبيلة ولا حدود الشعب أو القوم، وبه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكل إله يدعى من دونه هو باطل مختلق لا أصل له.

وكل نزاع بين من يدين لله عز وجل ويؤمن به وهو من أهل طاعته وبين غيره من الأقوام أو الشعوب أو القبائل هو نزاع بين الحق والباطل.

التفسير الأول هو التفسير الوثنى، والتفسير الثانى هو الحقيقة القرآنية.

والتفسير الوثنى هو النموذج العقائدى للعلاقة بين الإله وقومه، كل إله وقومه فى كل ربوع العالم وعلى مدار تاريخه وفى مختلف شعوبه وأقوامه خلا التفسير القرآنى.

وما التفسير اليهودى والعقيدة اليهودية فى الإله ورابطته بشعبه باستثناء من ذلك. فإله التوراة هو إله شعب إسرائيل فقط لا يعرفه ولا يعبده سواهم ولا يسمح هو لأحد بعبادته غيرهم، لا لجهل الأقوام والقبائل الأخرى به ولكن لأن قبيلته اليهودية هى حدوده التى ليس فى مقدورة تجاوزها، إذ كما أنه إلههم وحدهم فهم شعبه الذى ليس له شعب سواه، لأن للشعوب الأخرى آلهتها التى تقر التوراة بوجودها «لأنك أنت شعبى مقدس إياك قد اختار الرب إلهك ليكون شعباً أخص من جميع الشعوب على وجه الأرض»[1].

(١) تثنية ٧: ١٧.

والرابطة التى تربـط هذا الإله بقبـيلتـه اليـهـودية هى رابطة الدم والنسب لا الإيمان والطاعة فهو شيخ القبيلة اليهودية ورأسها.

ولأن الإله هو شيخ القبيلة فهو ينصرهم نصـر شيخ القبيلة قبيلته ولا يخذلهم وإن عصوه لأن خذلانهم خذلانه، ويتجاوز عن كفرهم به لا لتوبتهم أو ندمهم بل لأن تنكيله بهم فضيحة لهم، ومن ثم فضيحة له لأنه رأسهم وشـيخهم الذى يعـير بهم عند مـشايخ القبـائل/ الآلهة الأخرى.

«فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك . . . صنعوا لهم عجـلا مسبـوكًا وسـجـدوا له وذبحـوا له وقـالـوا: هذه آلهـتـك يا إسرائيل . . . فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم . . . وأفنيهم وقال (مـوسى) لمـاذا يا رب يحـمى غـضـبك على شـعـبك لمـاذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض ارجع عن حمـو غضـبك واندم على الشر بشـعبك . . . فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه»(١).

وصـراع اليهـود فى التـوراة مع غيـرهم من القـبائل إنمـا هوفى الحقيـقة صراع بين الإله وبين غيـره من آلهة/ شيوخ القـبائل الأخرى التى تقر التوراة بوجودها وإن أعلت من شأن إله اليهود وبخست شأن غيره من الآلهة.

الفارق بين النمـوذج الوثنى وبين النموذج اليـهودى للإله، وهو

(١) خروج: ٣٢: ٧ ـ ١٣.

أيضًا نموذج وثنى يحد فيه الإله بحد القبيلة أو القوم وتقيد مشيئته بحدودها، هو أن الإله فى النموذج والتفسير الوثنى متعدد أو مجسد فى صورة وثن أو صنم أو جد أعلى.

أما النموذج اليهودى فهو نموذج وثنى لإله واحد لا تدركه الأبصار يختلط فى أوصافه التوراتية ما يليق بالإله من الكمال والجلال مما أنزل الله عز وجل على أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه من وحى وبقيت آثاره فى التوارة، يختلط بما لا يليق بكمال الإله من صفات ونوازع وأهواء وثنية مما اقتطعه اليهود وكتبة التوارة مما مروا عليه أو اختلطوا به أو حاربوه من أقوام وثنية وحشوا به التوراة، فكلما مروا بقوم أو خالطوهم سلما أو حربًا أخذوا منهم صفة مما يعبدون وألصقوها بالإله، وربما انتزعوا ما يعبده غيرهم كله ونحلوه لأنفسهم واتخذوه ربًا وإلهًا كما أشار عز وجل إلى ذلك فى طبعهم بقوله: ﴿ **وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة** ﴾ (الأعراف ١٣٨).

بل إن كتبة التوراة أنفسهم نسبوا لسليمان سعيه وراء معبودات الوثنيين وإقامته المعابد وتقديمه القرابين لها: «وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ... فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ... وهكذا فعل سليمان لجميع نسائه الغربيات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن»(١).

---
(١) ملوك الأول ١١: ٥ ـ ٩.

فلم يكفهم إثبات وجود آلهة أخرى مع الله عز وجل حتى جعلوا أنبيائهم يسعون فى أثرها ويطلبون رضاءها.

الإله فى التوراة إذًا واحد حقًا لكنه يتحرك ويفعل ويقول ويأمر وينهى ويطاع ويعصى فى إطار وثنى، فصلب اللوحة التوراتية الوحدانية، ورتوشها وظلالها وأضوائها كلها وثنية.

لذا كانت التوراة هى الحق الممزوج بالباطل أو هى أقرب الباطل إلى الحق ومن ثم كان النهى النبوى الحكيم عن تصديق أهل الكتاب، إذ قد يكون ما يقولونه مما حشوا به الحق من الباطل، وأيضا النهى عن تكذيبهم فقد يكون مما بقى فى الباطل من الحق.

ولأن التوراة هى الحق الممزوج بالباطل كانت عناية القرآن الكبرى بهذا الباطل الخادع بما شابه من الحق، فلم يول القرآن عقيدة قوم ولا أخلاقهم ولا سلوكهم ولا أفعالهم ومقالهم عناية مثل تلك التى أولاها لليهود.

ذلك وما هم بأكثر البشرية عددًا ولا أشدها مراسًا ولا أعظمها عمرانًا وبناء. فهذه إحدى علتين اهتم بسببهما القرآن اهتمامًا بالغًا بأن يقص على هذه الشرادم المشرذمة فى أصقاع الأرض أكثر الذى هم فيه يختلفون.

أما العلة الثانية فهى أن الباطل المشتبه بالحق فى اليهود وتوراتهم كان النواة لعالم كبير كثيف وقطاع هائل من البشرية هو الغرب/ الحضارة اليهودية المسيحية.

فكما أن التوراة هـي الحق الممزوج بالباطل فـالعالم الذى خرج من بين دفتيهـا وتكون بسريانها فيه هو عالم البـاطل المشوب بالحق و هو أقرب عوالم البـاطل إلى عالم الحق، ولذا فهو أشـد العوالم عداء لعالم الحق!! لأنه يكشفه ويغيض نوره فى جوار ضياءه.

فالتوراة هى أكمل نموذج عقـائدى وأرقى سيرة تاريخية، والعالم الذى أقيم عـليها وبهـا هو أمثل عـوالم البشـرية وأكملهـا وأرقاها فى ميزان العقل والنفس بشرط واحـد، وهذا الشرط الواحد هو احتجاب القـرآن واختـفاء العـالم الذى خرج منه وتكون به، إذ فى وجـوده ـ القرآن ـ ينهار النموذج التوراتى ويستبين عواره، ومن ثم يسقط أساس الأسس الذى بنى عليه الغرب مفضيًا إلى تهافته وانهياره ذاتيًا.

ما لا يعـرفه كـثيـرون ويحرص من يعرفـونه على إخفـائه وإهالة الأكاذيب عليـه لأنه يجعل للمعـركة الإسلاميـة اليهودية أبعـادًا وآمادًا ليـسوا أهلاً لحـمل تبعـاتها هو أن التـوراة هى نبع الحضـارة الغربـية الأول، وأن الغرب مسـيرة وحضارة لم يتكون إلا بسريان التـوراة فيه والتقائها بعقائد وأفكار وأخلاق الإغريق.

وهما على ذلك صنوان!

فلا خـلاف بين نقاد التوراة ومـحققـيها على أن سـفر التكوين ـ وهو السفر الذى يحوى قصة الخلـق ويفسر كيف خلق الإنسان ولماذا خلق وأين كان وكـيف جاء ويضع بذرة علاقـة الإله بالإنسان والكون والطبيعة، ومن ثم فهـو السفر الذى يحدد رؤية الإنسان للكون والإله

ويصع الإطار الذى يحكم كلما ينظم هذه العلاقة لا خلاف على
ان [redacted] السفر [redacted] كتب فى عصور متأخرة عن زمان روايته وعن زمان
كتابة أسفار التوراة الأخرى المسماة بالأسفار التاريخية، وتحديدًا فى
العصر الهلنستى/الإغريقى. ولذا امتزجت تفاصيله بتفاصيل الأساطير
والأفكار الإغريقية.

جاء الغرب صورة حية مجسدة لعالم التوراة، قوانينه و معتقداته وأخلاقه وسلوك أبطاله ونسيج علاقاتهم.

والعلمنة فى الغرب [redacted] تركًا [redacted] المقدس وهجرًا [redacted] ولكن ليس إلى فراغ، وإنما هجرة منه **إليه!**

ففى الكتاب المقدس تعاليم، وفيه عالم لا شأن [redacted] بهده التعاليم.

فتعاليم الكتاب المقدس تنهى عن الزنى: «لا تزن»(١).

وأنبياء عالم التوراة زناة، زنى لوط بابنتيه، وزنى يهوذا بأرملة ابنه ولا حرج!

تعاليم التوراة تنهى عن القتل: «لا تقتل»(٢).

وأبطال عالمها ونماذجه العليا قتلة وسافكو دماء، وأعلام إبادة وإفناء، ورايات ودمار: «وأخذوا المدينة كل فى المدينة من رجل وامراة وطفل وشيخ [redacted] البقر والغنم والحمير وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها»(٣) «وكان لما انتهى

---

(١)، تثنية : ١٩

(٣) يشوع ٦ : ٢١ ، ٢٤

إسرائيل من قتل جميع سكان عاى فى الحقل فى البرية لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف . . . حتى فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلى عاى وضربوها بحد السيف ويشوع لم يرد يده حتى حرم جميع سكان عاى واحرق يشوع عاى وجعلها تلاً خرابًا»(١)

التعاليم تنهى عن شرب الخمر .

وفى العالم والحياة التوراتية سكر نوح* حتى فقد رشده وانكشفت عورته .

علمنة الغرب كانت إزاحة للكنيسة التى تقف بينه وبين الكتاب المقدس وتكبله بتعاليمه وما زادته من تعاليمها وأوامرها وهجرًا لها ولهذه التعاليم والأوامر إلى عالم الكتاب المقدس الرحب المنفلت المطلق من القيود المارق على التعاليم والحدود ولا يحكمه إلا أهواء أفراده وما ترغب نفوسهم وأبدانهم وما تقتضيه صرورة التعايش بينهم .

فى التوراة إسرائيل شعب الله المختار ، فجاء الغرب مصدقًا لها حضارة الإنسان المختارة ، وكل مجتمع او عالم غيره هو عنده هامش على متنه لا وجود له إلا بقدر ما يكون تابعًا له دائرًا فى فلكه .

والتوراة تجعل لكل قوم إلهًا وكل قوم يقاتلون بإلههم وينتصرون

---

(١) يشوع ٢٣ . ٨ ـ ٢٩ .

* تذكر هذه الأسماء مجردة لأنها عندنا ليست لأنبياء الله صلوات الله عليهم وسلامه وإنما هى لشخوص توراتية وهمية لا صله لها بأنبياء الله عز وجل سوى تشابه الأسماء .

به، فجاء الغرب مرآة للتوراة مفرقًا أقوامًا وقوميات، وحدود كل قوم إلههم وما تعبد نفوسهم.

وهو ما يعترف به ديورانت فى موسوعته قصة الحضارة (الغربية) إذ يقر بأن الغرب ليس موحدًا لأنه فى الحقيقة لا يعبد إلهًا واحدًا. فجذر القوميات الغربية هو وجود صورة ذهنية خاصة للإله فى ذهن ونفس كل قوم، يعبدونها فتجمعهم وتفرقهم عن غيرهم.

فالإنجليز يحملون فى أذهانهم صوة للإله غير التى يعتقدها الفرنسيون وغير تلك التى استقرت فى عقول الألمان.

فكأن حدود الأقوام والقوميات هى الفروق بين صورة الإله فى أذهانها وآثار هذه الفروق وتراكمها فى مجتمعاتها، تمامًا كصورة قبائل التوراة.

فى عالم التوراة لا وجود للآخرة، وما بعد الموت مجهول أو غير موجود فلا حساب ولا ثواب ولا عقاب، وما يحققه شعب التوراة فى الدنيا هوالثواب، وفشله فى تحقيقه هو العقاب، فجاء إنسان الغرب صورة لعقيدة عالم التوراة، هو «أحرص الناس على حياة» ليس له غيرها، ولا غاية له فيها إلا العب من مباهجها والغرف من لذاتها، وجاء عالم الغرب كله تجسيدًا لعالم التوراة لا رسالة له إلا القوة والاستعلاء والسيطرة، ولا اعتبار للوسائل. فلم يفعل ميكيافللى فى مبدأه الذائع (الغاية تبرر الوسيلة) أكثر من أنه صاغ قانون عالم التوراة.

ماذا عن الأنبياء والأرض والمقدسات؟

الرابطة بين الإله وقومه فى التفسير اليهودى وهو أرقى أنواع الوثنية وأكثرها شبهًا بالحق واختلاطًا به هى الرابطة العضوية الدموية لا الرابطة العقائدية الإيمانية.

إذًا فمن الداهة أن تكون صلة القوم بنبيهم هى كونهم من أنساله لا أنهم من أتباعه فيكون منطق الوثنى اليهودى: هذا الرجل جدى وأنا من أحفاده لا هذا الرجل نبى وأنا من أتباعه.

فإذا وعد الإله عباده الصالحين بوراثة الأرض وإذا قدس الإله بقعة على يد نبى كانت حجة الوثنى الداحضة: إله أجدادى الذى هو إلههم وحدهم وهم وحدهم دون العالمين شعبه وعدهم بهده الأرض وقدس لهم هذه البقعة، ولما كنت من نسلهم فهذه الأرض التى وعدوا بها أنا صاحبها، وهذه البقعة التى قدست لهم لا حق لأحد فيها سواى.

فما يصل إليه اليهودى من أنه صاحب الأرض وأولى البشرية بالبقعة المقدسة هو إفراز طبيعى ونتيجة متسقة مع الرؤية والمنطق والنموذج العقائدى الذى يأتى منه بحججه، ولا يمكن نقض هذه النتيجة إلا بنقض النموذج الذى خرجت والمنطق الذى منه تكتسب أثرها وقوتها.

ولا يوجد نمودج عقائدى ولا منطق دينى او عير دينى يهز النموذج والمنطق التوراتى ومن ثم يهدم حججه ويزيل اثاره ونتائجه عير القرآن.

فالله عز وجل وعد بالأرض عباده الصالحين لا قبيلته المختارة.

وعباد الله الصالحون هم من آمنوا به عز وجل كما وصف نفسه وأطاعوه فيما أمر ونهى وهم من حملوا رسالته وقاموا بها وكانوا مرآة لها.

والله سبحانه وتعالى قدس بقعة لنبى، وأولى البشرية بالنبى هم أتباعه على دينه القائمون على رسالته لا أحفاده وأنساله.

فإذا جاء عربى ليناقض يهوديًا وحجته: هذه البقعة لآبائى وأجدادى ورثناها عنهم ولا نعلم لأحد قبلهم وثيقة بملكها ولا أثرًا لوجودهم فيها لما كان هذا العربى إلا يهوديًا يحاور يهوديًا بمنطق اليهود وعقائد التوراة.

ويصبح الفيصل بين اليهودى والعربى (وكلاهما فى الحقيقة توراتى الذهنية) أيهما يقدم الدليل والوثيقة على سبق آبائه وأجداده فى ملكية الأرض وحيازة المقدس.

وهو مضمار لن يغلب فيه اليهودى المسخ اليهودى الأصل.

ذلك أن هذا العربى إنما يريد نقض حجج اليهود وإزالة ما يترتب على هذه الحجج بحجة تزيد منطق اليهود ثباتا وتزيد منهجهم ونموذجهم العقائدى رسوخًا.

وما ظنك بالعواقب والعقابيل والذى سوف يحكم بين اليهوديين يهودى ثالث، التوراة أصله ونبعه وهى ذهنه ونفسه، منها خرج وعالمه مرآة لها.

وذلكم اليهودى الثالث هو الغربى، والتوراة عنده وثيقة الوثائق التى تسقط أمامها كل وثيقة غيرها والتى ليس فى طاقته إبطالها، إذ لو أبطلها وهى أمه لكان يبطل نفسه ويمحو وجوده!

فالعربى المغفل الذى يحاجج بآبائه وأجداده إنما يهدم الآثار والنتائج اليهودية بما يغذى أصولها التى أنجبتها ويقوى التربة التى أنبتتها، فهو يدعم حجج اليهود وهو يتوهم نقضها ويؤصل لباطلهم وهو- من غفلته - يتوهم إزالته.

وها هنا نقدم مشهدين يُجلى بهما الفرق بين الإسلام القرآنى واليهودية، وبين العربى القرآنى الذهنية والعربى التوراتى الذهنية.

هب أن عربيًا ويهوديًا التقيا ليكون المشهد الأول هكذا:

اليهودى: هذه الأرض أرضى.

العربى: بل هى أرضى أنا.

اليهودى: إلهى وإله أجدادى وعدهم بهذه الأرض وجعلها لهم.

العربى: بل أجدادى أنا هم الذين امتلكوها وعاشوا فيها قرونًا متطاولة، وما كان مكوث أجدادك فيها إلا برهة من الزمن ليست فى جوار ما بقى فيها أجدادى وآبائى من قبلهم ومن بعدهم شيئًا مذكورًا.

اليهودى: كتاب أجدادى وآبائى التوراة يبوح بحقهم فيها.

العربى: وآثار أجدادى وآباءى ناطقة بما لهم فيها، وليس لأجدادك فيها عين ولا أثر.

اليهودى: كتاب أجدادى أبقى وأخلد من آثار آبائك.

العربى: بل وثائق آباءى وآثار أجدادى أصدق من كتابك وكتاب أجدادك.

وها هنا يقدم اليهودى توراته ويخرج العربى مستنداته ووثائقه وصكوك ملكية آبائه ليفصل بينهما الغرب التوراتى الذهنية والبنية والتكوين، فلا تساوى مستندات العربى المغفل ووثائقه وصكوكه أمام التوراة عند هذا الغربى شروى نقير.

ويستكمل اليهوديان الحوار:

اليهودى: هذا جبل الهيكل.

العربى: بل هو المسجد الأقصى.

اليهودى: داوود جدى اشتراه وسليمان جدى بناه وما أنا إلا بعض بنيهما، فأنا أولى الناس بهما.

العربى: ليس لك ولا لأجدادك فى هذه البقعة أثر ولا حجر، فأين هو هيكل سليمان هذا المزعوم؟

لا أثر له وإنما آثار أجدادي وأنفاس آبائى فى كل ركن وتحت كل حجر فى هذه البقعة فأنا صاحبها ولا أحد أحق بها منى.

اليهودى: أجدادى.

العربى: بل أجدادى.

ثم يذهب اليهودى مع العربى المغفل إلى الغرب وليد التوراة والذى لا يعرف عن هذه البقعة إلا أنها جبل الهيكل (TEMPLE MOUNTAIN) ليحكم بينهما.

أما المشهد الثانى بين عربى ويهودى فيأتى هكذا:

اليهودى: إله أجدادى وعد جدى إبراهيم وجدى إسحق بهذه الأرض.

العربى: الإله الذى وعد ليس إله أجدادك ولا إلهك وحدك، وإنما هو عز وجل رب العالمين وهو ما وعد أجدادك وإنما وعد بالأرض أنبيائه إبراهيم وإسحق عليهما السلام.

اليهودى: أليس إبراهيم وإسحق أجدادى.

العربى: بلى.

اليهودى: فأنا وريثهما فيما وعدهما الرب.

العربى: بل وريثهما من أطاع الله عز وجل واتبعهما وإن لم يكن من نسلهما، وما لمن جحد الله سبحانه وعصاهما حق وإن كان من بنيهما.

فالله عز وجل حكم أن أولى الناس بإبراهيم هو من تبعه لا من أنجبه.

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (آل عمران ٦٨).

اليهودى: أفتكون أنت أولى منى بجدى وما ترك؟

العربى: نعم. فالله عز وجل أنزل فى كتابه الذى حفظه ووضع فيه دلائل صدقه وحفظه أن الرابطة بين النبى وابنه من صلبه ليست إلا العمل الصالح، فإن طلح عمله فصمت علاقته بالنبى وبانت الصلة بينهما.

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود ٤٦).

وفى قراءة الكسائى ويعقوب: «إنه عَمِلَ غيرَ صالح».

فكون ابن النبى «عَمِلَ غيرَ صالح» أخرجه من أهل النبى وبتر نسبه إليه.

اليهودى: فماذا ستقول فى هذه البقعة المقدسة وقد اشتراها جدى وبناها جدى؟

أليس نبيكم يقر أنها من شراء وبناء داوود وسليمان، وهما جداى؟

العربى: ليس نبيى وحدى ولكنه نبى الله عز وجل للعالمين كافة يرث الأنبياء جميعًا، وإزوراركم عنه كفر به وبالله عز وجل يفصم صلتكم بالله ويقطع نسبكم بأنبيائه.

فما داوود وسليمان عليهما السلام بأجدادك، أخرجكم من أهلهما وأبنائهما كفركم وجحودكم ومعصيتكم.

اليهودى: فمن أهلها وبنوهما إن لم نكن نحن؟

العربى: أهلهما وبنوهما من آمنوا بما جاءا به وأطاعوا النبى الذى جاء خاتمًا لهما ومصدقًا لنبوتهما، لا من جعلوهما طغاة سفكة دماء ساعين خلف الأوثان والأصنام.

وما يرث الأنبياء إلا الأنبياء وأتباع الأنبياء لا قبيلتهم ولا أبنائهم، فالله رب العالمين لا ربكم وحدكم وعد بالأرض وقدس المقدسات لعباده الصالحين لا لقومه العاصين.

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ (الأنبياء، ١٠٥).

اليهودي: آثار أجدادي في الأرض أورثها إياهم وإياي إلهنا في كتابنا وسيرتنا.

العربي: أرض الله أورثها عباده الصالحين في كتابه الذي أنزله بيانا أخيرا للبشرية كلها ومصدقا لما في كتابكم من الحق ومهيمنا على ما فيه من الباطل. وما آثاركم في الأرض - وجدت أو لم توجد - بالتي تورثكم إياها وقد حكم عز وجل نفسه وهو مالك الأرض ومن قدس المقدسات فيمن هو أحق بها، فجعل سبحانه وتعالى مستند حيازتها ووثيقة ملكيتها الإيمان به وببيانه للبشر وطاعته عز وجل لا الآثار ولا الصكوك ولا الأجداد.

اليهودي: أرض إلهي وأجدادي.

العربي: أرض الله رب العالمين لا أرض أجدادك ولا أجدادي.

وها هنا يحوز الأرض والمكان المقدس من يؤمن الآخر بصدق كتابه ونموذجه العقائدي وصفة الإله في هذا النموذج وموقع الأرض والمقدس منه، أو يحوزهما من يستطيع تغييب كتاب الآخر وتحييد عقائده وتضليله عنها . . . أو يفصل بينهما السلاح!

العربي في المشهد الثاني هو المسلم القرآني الذهنية والنفس الذي يؤمن أن الله رب العالمين وأنه عز وجل أرسل نبيه ﷺ برسالة خاتمة وبيان نهائي للبشر يرث بها ﷺ الأنبياء دون أقوامهم

وأنسـالهم، وهو العـربى الذى يعى أن رابطته بـالله رب العالمـين هى الإيمان به، وأنه لا نسب بينه وبينه عز وجل إلا طاعـته، إن أطاعه عز وجل نصره وإن عصاه خذله بقدر عصيانه.

وهو العـربى الذى يوقن أن كل من آمن بالله عـز وجل ورسـوله ورسالتـه وبيانه الـخاتم هو أخـوه، جعل الله نسـبه ورابطتـه به فوق رابطتـه بأخيـه من بطن أمـه وصلب أبيـه إن لم يؤمن هذا الأخ بالدم بمثل ما آمنا به.

فالمسلم فى مـشارق الأرض ومغاربها، فى حـضرها وبيدها، فى جبالها وسهولها، فى قيظها وجليدها، أبيض كان أو أسود أو أحمر أو أصفر هو أخوه ما آمن بمثل ما آمن به.

وهو العربى الذى يعلم أن الله عـز وجل أناط به رسالة يكون هو مرآة لها ثم يبلغها للعالمين ويدعوهم إليها بالحسنى وهو يعد ما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل يرهب به عدو الله وعدوه.

فمن حال دون إبلاغ هذه الرسالة أو أعاق وصـولها للبشر ليؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر فله السلاح.

نعم! هو العـربى الذى لا يخجل من القـوة ولا يتبـرأ من حـيازة السلاح ولا ينكس رأسه عند سـيرة الفتوح باحثـا عن تبرير، أى تبرير للقتال، إذ هو يوقن أن عنده من الله إذنا بالقتال لا يعنيه معه رضاء من جحد الرسالة الخاتمة والبيان النهائى أو غضبه.

وهو المـرء الذى يهب من أصـقـاع الأرض ذودًا عن المـسجـد

الأقصى وصونًا لدماء الطائفـة التى على الحق ببيت المقدس و أكناف بيت المقدس لا ينتظر اجتمـاعًا ولا إذنًا ولا قرارًا ولا عونًا على شعب التوراة من العالم الذى أتى منه ومنهـا! وهو العربى الذى لا يزيغ قلبه ولا تدور عيناه كـالذى يغشى عليه من المـوت باحثًا عـمن يلقى عليه التبعة بحجة أن بلاد المسجد الأقصى ليست بلده وأن أهله ليسوا قومه وشعبه.

وأمـا العربى الأول فـهـو العربى التـوراتى الذى نزع منه القـرآن وأزيلت من عـقله قـضاياه ومنطقـه ومـحيت من نفـسـه روابطه التى ارتضاها عز وجل لمن آمن به.

فهـذا العربى لا يربـطه بأحد غيـره رابط إلا أنه من قـومه أو من قبـيلته يجمـعه بهم أرض تتـسع يومًا وتضيق آخـر حسب مواصـفات الغرب وأممه المتحدة.

وكل من لا ينتسب إلى القبيلة أو القوم أو يخرج عن حدود قطعة الأرض التى نزلت بها القبـيلة أو استقر بها الشعب فـهو غريب عنه لا تربطه به رابطة ولا يعنيـه من شأنه شىء، حـارب أو سالم، قـاتل أو قتل.

وهو العربى الذى لا يرى فى الأرض إلا أنها أرض القبيلة والقوم والشعب ورثهـا عن اباءه وأجداده فإن انتـهك منتهك أرض قبـيلته ثار لها،وإن اجتـاح غيرها لم يحرك ساكنًا لأن العـدوان على أرض القبيلة الأخرى أو الشعب الآخر.

قد يساعد هذه القبيلة أو الشعب الآخر وقد يعطف عليه عطف الغريب على الغريب ولا يقوم له قيام المرء لنفسه وأهله.

إذ هو عنده آخر، هم وليس نحن، والقضية قضيتهم لا قضيتنا، والأرض المنتهكة المغتصبة أرضهم وليست أرضنا، وتحريرها واجب عليهم لا علينا. فما لنا وللأرض ليست لنا ولا عاش فيه آباؤنا وأجدادنا؟

وهو العربي الذى يدفع حجة اليهود بحجة يهودية توطد عقائد اليهود، فهو ينكر عليهم أنهم شعب الله المختار ليجعل هو من نفسه الشعب المختار الذى انحدر من الفراعين أو جاء من نسل الجبارين متجاهلاً الرسالة الخاتمة ومتجاوزاً البيان الإلهى النهائى وقافزاً عليهما إلى ما خلفهما، وكأن القرآن ما أنزل وكأن محمدا رسول الله ما بعث، تماما كما يفعل اليهود.

فهو العربى الذى نسى الرسالة التى كلف العمل بها وإبلاغها لتصبح رسالته هى عين رسالة اليهود. البحث عن عالم الأجداد الضائع وتمجيدهم والتغنى بهم والمفاخرة بآثارهم واتخاذ سيرتهم الضالة نبراسا وهدى.

وهو العربى الذى أصبح رأس قومه أوشيخ قبيلته هو إلهه، يحكم ويشرع ويضع كتابه وإعلامه يحدد له به زيه وأخلاقه وأفكاره وقانونه ومن يوالى ومن يعادى فى ازورار عن كتاب الله رب العالمين وقد أصبح فى جوار كتاب الزعيم أو القائد الملهم كتاب الموتى.

وكما أن له شيخه أو رأسه، فلكل قبيلة شيخها أو رأسها، ويحد سلطان كل شيخ أو رأس بمرابض قبيلته أو حدود قطعة الأرض التى أقطعه الغرب إياها.

وكلهم لبعض خصيم.

هو العربى اليهودى إذا.

ولم يبق للقارئ إلا أن يعرف أن الذى يسميه العربى المغفل مسيرة التحديث والنهضة العربية لم يكن إلا مسيرة إزاحة القرآن وعالمه لفتح الطريق أمام التوراة وعالمها، وأن ما يطلق عليه اليقظة القومية لم يكن إلا فعل الغرب فى الشرق لإزالة روابطه القرآنية وإحلال الروابط التوراتية محلها، وأن الدولة القومية/ الوطنية ليست إلا الدولة التوراتية.

فالتوراة هى «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم» لشعب إسرائيل! وعالم الدول القومية/ الوطنية المكونة من قطعة أرض، وشعب يربطه بنفسه ويفصله عن غيره رابطة الدم، وحكومة/ إله هو هو عالم التوراة بقبائلها، ولكل قبيلة حدودها وأرضها وشيخها ابن إلهها أو من ظهر له الإله.

وأما ما يسميه العربى المغفل الحداثة فما هو إلا مسيرة صناعة هذا العربى المغفل نفسه كى يساق بالتوراة ولا يدرى، ويرى العالم والماضى والمستقبل والدنيا وما فيها من صراعات بالمنظار الذى أراده كتبتها، ويكون مرآة لها ولا يعى: تمحى من عقله الرسالة الخاتمة

التى ما كان ولا نهض ولا قاد الدنيا وتبعه أهلها إلا بها لتستوطن عقله «أكلشيهات» الغرب الوهمية عن النهضة والحضارة والتقدم.

وتزول من ذهنه رابطة القرآن الإيمانية لتحل محلها رابطة الأرض والقوم التوراتية.

وتحذف من نفسه ومن ميزانه وحساباته الآخرة أو تضمر عنده حتى لا تكون فاعلة فتنفرد به الدنيا ويصبح هدفه الأعلى وغايته الأسمى الترف والعب من المباهج، تماما كأخيه الغربى وكما أراد كتبة التوراة لشعب التوراة.

فلا عجب فى عالم عربى توراتى الذهنية والروابط، توراتى الأخلاق والمقاصد، توراتى الحدود والفواصل، ترى كل قبيلة أو شعب فيه تاريخها بمنظار كتبة التوراة و تزن نفسها بموازينها.

لا عجب فى عالم عربى توراتى أن يكتسحه شعب التوراة!